مطلقاً، فإنهم يحكون من الغرائب ما لم يحك مثله عن القدماء، وصار مثلاً يضرب في هذا الفن. وقد رأيت مجموعاً في الطبّ ذكر مؤلفه أنه جمع فيه مجربات صاحب الترجمة.

ومن جملة ما ذكره فيه أن أحسن الأدوية لأهل اليمن مطلقاً الأطريقل الأصغر، وأنه موافق للأرض، واللَّه أعلم. (ومات) سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانين وألف، ولما مرض طلب بطيخاً، وكان يقول: إن جاء البطيخ عاش مُحمَّد بن صالح سنة، فما جاء إلَّا بعد موته.

(٤٥٠)

(مُحمَّدُ بن صَالح بن مُحمَّد بن أحمد بن صَالح بن أبي الرّجال)

قد تقدم تمام نسبه في ترجمة جدّ أبيه، وهو أحد أعيان العصر وأوحد أدبائه. ولد سنة ١١٤٦ ستّ وأربعين ومائة وألف، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان ذلك العصر، ومنهم أخوه العلّامة أحمد بن صَالح المتقدم ذكره. ومهر في الأدب، فنظم الشعر الفائق، وله يد طولى في حفظ الأشعار والأخبار والصرائف واللطائف والماجريات، لا يسمع شخصاً يحكي حكايةً من أيّ نوع كانت إلّا وجاء بأمثالها. ومجالسته نزهة القلوب وروح الأرواح وفاكهة الأذهان، وله فهم للنكت والدقائق في غاية الجودة، إذا سُئل عن مشكل من مشكلات الأدب أفاد فيه بدون كلفة. وبالجملة فهو يتوقّد ذكاءً وفطنةً وحسن عشرة ومكارم أخلاق وعفة وصيانة وديانة وعلوّ همة ورياسة واطلاع تام على علم اللغة. وكثيراً ما يدعوه مولانا الإمام المنصور باللَّه خليفة العصر حفظه اللَّه ويرغب إلى مجالسته ومحادثته. وقد سمعت من فوائده في مقام مولانا الإمام كثيراً، ويجري بيننا هنالك مذاكرات أدبية ومحاضرات تاريخية. ومن محاسنه أنه إذا رأى منكراً استشاط غيظاً واضطرب والتهب مزاجه، فإني في بعض الأيام رأيته في موكب الخليفة وقد رأى رجلاً يشتكي ويستغيث، والخدم يطردونه ويكفونه عن ذلك قبل أن يسمع الخليفة شكايته، فغضب صاحب الترجمة غضباً زائداً وارتفع صوته واضطرب حتى كاد يسقط من ظهر مركوبه. ومن رائق نظمه قوله: [من الوافر]

كَـأَنَّـكَ حـيـنَ تَـغْـشَـى كُـلّ نُـكْـرٍ ... وتَخْشَى في ابنةِ الكَرْمِ الجُنَاحا[1]

زُهَـيْـرٌ حـيـنَ مـرَّ بـجـمـعِ قَـوْمٍ ... بِـهِـمْ هَـرِمٌ فـقـال عِـمُـوا صَـبَـاحـا

فيه تلميح إلى القصة المشهورة وهي أن زهير بن أبي سُلمى كان يمدح هرم بن

(١) النُّكْرُ: المنكر: القبيح. ابنة الكرم: الخمر. الجناح: الإثم، الذنب.

سنان، وكان قد حلف هرم أن لا يمدحه زهير أو يسلم عليه إلّا أعطاه. ولما كثر منه ذلك احتشم زهير منه وخجل من كثرة عطائه، فكان إذا لقيه لا يسلم عليه، وإذا مرّ بقوم هو فيهم حياهم بتحية العرب، واستثناه فيقول: عِموا صباحاً عدا هرماً وخيركم تركت.

ولما رأى صاحب الترجمة شخصاً يعاني حفر غيل بجبل نقم المجاور لصنعاء من جهة المشرق يريد زيادة مائه فلم يزد على ما كان عليه قبل الحفر فقال: [من الرمل]

سَألوا من جَبلِ صَلْدِ الصَّفا ... نهراً يَجْري عَليْهم فَنهَرْ[1]
وَتراءتْ عَيْنُه غامضةً ... فَقفوا في طلب العَيْنِ الأثرْ
نَحتوا أحجارهم فَاعْجَبْ لَهُمْ ... يَشتهونَ الماءَ من عَيْنِ الحَجَرْ

أشار بالبيت الآخر إلى مثل يضربه الناس، إذا رأوا من يطلب أمراً مستحيلاً أو شاقّاً فيقولون: يريد كذا من عين الحجر. وخرج مولانا الإمام إلى الروضة في بعض السنين فلحقه صاحب الترجمة فلم يسلم عليه إلّا بعد صلاة الجمعة فكتب إليه: [من مجزوء الكامل]

مَوْلايَ رِقُّكَ إنْ تأخَّرَ ... فَهْو تالي مَنْ تَقدَّمْ
إنْ فازَ مَنْ جلّى بِصُحْ ... بتِكُم فَقدْ صلَّى وسَلّمْ

وهو عند تحرير هذه الترجمة حيٌّ نفع اللَّه به. (ثم مات) رحمه اللَّه ثالث عشر رمضان سنة ١٢٢٤ أربعٍ وعشرين ومائتين وألف.

(٤٥١)

(مُحمَّد بن صَالح النهمي ثم الصّنعاني المعروف بالجرادي)

بالجيم والراء والدال المهملة. ولد تقريباً سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء. وكان والده شيخ مشايخ القراءات السبع بصنعاء، استفاد به طلبة هذا الشأن، ثم تلا ولده هذا عليه، وعلى الفقيه القارئ عليّ اليدوي بالسبع وأتقنها، وتلا عليه جماعة، وقرأ في الآلات على جماعة من مشايخ صنعاء فاستفاد فيها. وقرأ عليه جماعة من الطلبة، وقرأ الفقه أيضاً على شيخنا السيد العلَّامة عبد الرَّحْمٰن بن قَاسِم المداني المتقدم ذكره، وغيره. وقرأ عليَّ في (البحر الزخار) مع جماعة من الطلبة، وحصل بخطه الحسن نسخة منه في غاية الحسن. وهو الآن مشتغلٌ ينفعُ من يقصده للتلاوة عليه والاستفادة، نفع اللَّه به[2].

---

(١) الصّلد: القاسي، الصلب. الصفا: جمع الصفاة: الصخرة الضخمة الملساء.
(٢) قيل: توفي سنة ١٢٥١هـ.